

## الرهبانية المسيحية والتصوف الإسلامي و تأثيرهما على الجوانب المختلفة للحياة

### الإنسانية: دراسة تحليلية من منظور إسلامي

#### *Impact of Christian Monasticism and Islamic Mysticism on Various Aspects of Human Life: An Analysis from Islamic Perspective*

محمد ذوالقرنين \*

#### Abstract

*The science of Islamic belief "علم العقيدة" has been considered as most significant disciplines among different branches of knowledge as it played an essential, rather cardinal role in human life. This scholarly work intends to look into development of Monasticism in Christianity and Mysticism in Islam in different phases and its impact upon human life. Qualitative and descriptive research methodology has been applied for analysis of data. The research has particularly addressed four noteworthy aspects of the theme: firstly, Historical development of Monasticism in Christianity, secondly; Development of monastic tendencies in Islamic mysticism thirdly; Reflections of Monasticism upon various aspects of human life, and finally; Analysis of Monasticism in the light of Quran and Sunnah. The review of literature disclosed that monasticism is one of the main contributions of Christianity which later on influenced Islamic mysticism. Through centuries of contact it has left an immense influence upon Muslim societies which has changed the real picture of Islam. In the beginning, it was considered the source of self-purification but unfortunately lately it has developed into more mundane phenomenon. Recently it has been utilized as a source of income for spiritual masters and has produced complex mixture of superstitions for the community. Despite of that it has been argued that the real form of Mysticism could not be overlooked thus the Islamic mysticism has been divided into three categories by Muslim scholars: legislated (شرعي), heresy (بدعي), and infidelity (كفري). In this short paper the main focus will be on the impact of Christian monasticism on Islamic Sufism in general and that of Islamic Sufism on social life in particular.*

**Keywords:** 'Aqīdāh, Monasticism, Practical Life, Development, Impact

\* Lecturer, Dept. of Islamic Studies, NUML, Islamabad-Pakistan, zulqarnain4386@gmail.com.

## مقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد

فإن الحياة الرهبانية التقشفية تُعدّ من أهم الممارسات التي نشرت في العالم، والناس الذين يختارون هذا النمط للحياة، يسمون بأسماء مختلفة مثل الصوفياء أو المتصوفين أو الرهبان أو النساك. ومن أهم العناصر العقيدية أو الفكرية للتمسك بمثل هذا الأسلوب من الحياة الدينية، الانفصال عن العالم، وتعذيب النفس بالشدائد، وتخلي النفس لكثرة العبادة والرياضة. وهناك بعض الأسباب الداخلية والخارجية لدخول هذه الفكرة في الإسلام. فعندما دخلت الأمم الأجنبية في الإسلام، أحضرت معها عقائدها السابقة. فاشتهرت هذه الفكرة الرهبانية باسم التصوف في الإسلام، فسوف أناقش قضية ظهور التصوف ومدى تأثيره فيما يأتي حول استخدام كلمتي التصوف والرهبانية ومدلولاتها.

ويركز هذا البحث العلمي على نشأة العقيدة الرهبانية في المسيحية ثم تأثيرها في التصوف الإسلامي عبر القرون المختلفة، وآثارها التي تترتب على الحياة الإنسانية، وتحليلها في ضوء تعاليم الإسلام. فالمنهج الذي أستخدمه في كتابة هذا البحث العلمي فهو المنهج الوصفي والتحليلي بشرح مفهوم العقيدة الرهبانية وتطورها التاريخي، وانعكاساتها في الحياة الإنسانية، وتحليلها في ضوء النصوص الشرعية. ويتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث - ثم الخاتمة.

## المبحث الأول: نشأة الرهبانية في المسيحية: رؤية تاريخية

الرهبانية هي المبالغة في العبادة بمواصلة الصلوة، والصوم، ولبس المسوح، والتعب في الصحراء والغابات، وترك الملاذ من التكاثر، وأكل اللحم، والمطعم، والمشرب، والمسكن الحلال وغيرها. وابتدعوها النصارى من عند أنفسهم ولم يفرض أو يسن الله عليهم.

فكان أول السبب للرهبانية، ظهور الجبارة بعد عيسى عليه السلام وقتلهم الناس حتى يبقى القليل. فاختار الباقون الرهبانية بخوف الخلل في دينهم وخالصوا أنفسهم للتعبد منتظرين بيعته النبي صلى الله عليه وسلم التي وعد لهم سيدنا عيسى عليه السلام.

وكذلك روى بأن إذا غرق الفرعون مع جنوده فاستأذن من السحرة الذين آمنوا على يدي موسى عليه السلام وذهبوا على رؤوس الجبال. فهؤلاء الذين اختاروا الرهبانية أول مرة وبعد وفات موسى عليه السلام وانقطعت هذه الرهبانية اليهودية بحيث لا نجد الرهبان اليهود بعد هذه الفترة وابتدعها مرة أخرى أصحاب سيدنا عيسى عليه السلام ولكن مارعوها بسبب التشليث، والاتحاد، والكفر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول مقاتل: {فما رعوها حق رعايتها} أي عندما رُفِع سيدنا عيسى عليه السلام، استضعفوا ولم يصبروا على الحلال ودخلوا في الحرام كشرب الخمر، وأكل الخنزير مع الفساق، وسلكوا على طريق ملوكهم، إلا قليل منهم. ولذا قال تعالى:

{فما رعوها حق رعايتها} ومنهم من رعوها وسلوكوا طريقة الصالحين وآمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فرعوا حق رعايتها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾<sup>1</sup>.  
قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>2</sup>.  
يقول ابن كثير: {مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} أى إبتدع النصارى الرهبانية وليست هى مشروعة لهم بل إلترموها بأنفسهم عليهم. وقوله تعالى {إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ} أى كانوا يريدون رضوان الله سبحانه وتعالى بالرهبانية. قال قتادة وسعيد بن جبيرة وغيرهما: ما كتبنا عليهم الرهبانية ولكن كتبنا إبتغاء رضوان الله. وقوله سبحانه وتعالى {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} أى ما إلترموا ما كتبوا عليهم فيه ذم من جهتين:

1. الجهة الأولى فهى بأهم إبتدعوا فى دين الله من عندهم مالم يشرع سبحانه وتعالى.
2. والجهة الثانية فهى لم يلترموا ما رعوها بأنها وسيلة لقربة الله.<sup>3</sup>  
واختلف البعض فمن لم يرعوها الرهبانية،<sup>4</sup> فقال البعض: إنهم بدّلوا الدين ماجاء به عيسى عليه السلام وخالفوا تعاليمه. وقال البعض: إنهم رعوها الرهبانية حق رعايتها ولكن لم يرعوها الذين جاءوا من بعدهم حق رعايتها وكفروا بها، فهؤلاء المنكرون الذين وصفهم سبحانه وتعالى {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} يقول صاحب روح المعاني: المراد بنفى الرعاية من الرهبانية بأن ما رعوها كلهم بل بعضهم كما ضرب المثل عندما قتل واحد من بنى تميم، تقول قتل بنو تميم.<sup>5</sup>  
وقوله تعالى {فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ} أى الذين آمنوا بالنبي الآخر محمد صلى الله عليه وسلم مع إيمانهم بعيسى عليه السلام، فاستقاموا فى سبيل الله، وسيعطيهم الله أجرهم ولكن {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}.<sup>6</sup>  
قال الزجاج أحسن القول عن قوله تعالى {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} فهى على ضربين.<sup>7</sup>
1. أحدها: أنهم لم يلترموا ما إبتدعوا أى الرهبانية.
2. ثانيها: أنهم لم يؤمنوا بنبي الآخر عندما بعث، وعصوا عن طاعة سبحانه وتعالى فهذه ما رعوها والدليل على ذلك قوله تعالى {فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ} بأن من آمن ورعى حق رعايتها وقوله تعالى {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} عمن لم يؤمنوا أى لم يرعوها.

<sup>1</sup> إسماعيل حتى ، روح البيان (بيروت: دار الفكر ، س ن)، 382-9:386.

<sup>2</sup> القرآن 57:27

<sup>3</sup> إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق-سامي بن محمد سلامة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ-1999 م)، 29:8.

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المحقق- أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م)، 203:23.

<sup>5</sup> شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق- علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ)، 14:191.

<sup>6</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق- عبد الرحمن بن معلا اللوحيق (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م)، 842.

<sup>7</sup> الألوسي، روح المعاني، 14:191.

يقول صاحب روح المعاني: قال كبار من العلماء بأن كل ما ابتدع من الحسنة في الدين فهو داخل في الشريعة. وأما قوله تعالى ورهبانية... إلخ ففيه ذم على عدم رعايتها وعدم الدوام على العمل فقط. واطلق عليه اسم البدعة خلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم<sup>8</sup> لأن قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ وَزْرُهَا وَمِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْءٌ»<sup>9</sup>.

ويدل ذلك أيضا على أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز لنا البدعة الحسنة كما قاله صلى الله عليه وسلم سنة حسنة وجعل فيه أجرا لمبتدع وعامل عليه.<sup>10</sup>

قال البعض: كل ما ابتدعه العلماء، والصوفياء، والأولياء، والعرفاء ومالم تصرحها الشريعة، لا تدخل في البدع حتى خالفت السنة. فإن لم يخالف السنة فهو محمود كقلاة الطعام، والنام، وحلق الرأس، وكثرة الصلوة، والصوم، والعبادات الأخرى، وليس المرقعات، ومواظبة الذكر، والجهر به، وذهب هؤلاء إلى القول بأن هذه نواميس الحكمة التي لم يتعارف النبي صلى الله عليه وسلم في عامة الناس لأنها للخصوص وللسالكين على طريق الحق التي لا ترعاها الناس فلذا لا يجب عليهم. يدعوا بالصراحة من الأقوال المذكورة بأن ماذم الله سبحانه وتعالى على إبتداع الرهبانية مطلقا، والذي ذم الله سبحانه وتعالى عليه فهو عدم رعايتها الذي ما التزموه على أنفسهم.<sup>11</sup>

وكذلك ظهرت الفتن بعد الخلافة الراشدة في الأمة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واشتد البلاء والمصائب على المؤمنين الكاملين، ورحم البيت بالمنجنيق، وشهادة عبدالله بن زبير، وقتال خير الأمة من السلمين، واستبيحت مدينة صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام، وقتل فيه عامة المسلمين. تحركت هذه الأسباب للمسلمين على العزلة فبنوا الرباط على ساحل البحر، واختاروا الفقر، وعالجوا أخلاقهم، وأخذوا الجهاد بالنفوس. وهؤلاء المؤمنون الصادقون تسمى الصوفية. إنهم تكلموا عن المقامات، والأحوال، والصدق، والورع، والتقوى وغيرها.<sup>12</sup>

فعندما نرى إلى منهجهم نجد بأنهم يستدلون بالقرآن والسنة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم كما يقولون بأن الفتن نشرت في الأرض وصار الإيمان في عصر هذه الفتن غير محفوظ. فلا بد أن نذهب لسلامة الإيمان إلى الغابات والصحراء كما ذهب أصحاب الكهف إلى الغار لمحافظة إيمانهم. يدعوا من المنشور السابق أبرز النقاط فيما يلي:

1. أول من ابتدع الرهبانية فهي النصارى وكانت نيتهم حسنة وابتدعوها لإبتغاء رضوان الله تعالى.
2. إن الرهبانية ليست مآشرعها سبحانه وتعالى لهم بل التزموا على أنفسهم لقرية الله.
3. الرهبانية ليست مذمومة على الإطلاق ولكن اختلف فيه العلماء.

<sup>8</sup> حتى، روح البيان، 382:9-386.

<sup>9</sup> أبو بكر أحمد البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، 1344هـ)، حديث: 7993، 4:176.

<sup>10</sup> حتى، روح البيان، 382:9-386.

<sup>11</sup> الألويسي، روح المعاني، 14:191.

<sup>12</sup> حتى، روح البيان، 382:9-386.

4. إن الرهبان من النصارى كانوا في طريق الله في البداية ولكن دخلوا في الحرام كشرب الخمر، وأكل الخنزير مع الفساق، والسلوك على طرق ملوكهم بمرور الزمن.
5. والشيء المذموم في الرهبانية هو عدم رعايتها. فأما الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم رعوا حق رعايتها والا فلا.
6. ظهرت الميول الرهبانية في المسلمين بسبب الفتن واختارها الصوفية لسلامة دينهم وللدفاع من الفتن.
7. كل ما ابتدعه العلماء والصوفياء والعارفون وما لم تصرحها الشريعة، فننظر إذا لم يكن مخالفا للسنة جائز - عند البعض - كقلة الطعام، والمنام، وحلق الرأس، وكثرة الصلوة، والصوم، والعبادات الأخرى، وليس المرقعات، ومواظبة الذكر وغيرها.
8. كانت الصوفية في البداية على منهج أهل السنة والجماعة ولكن وقعت بعد ذلك فيها البدع الكثيرة كالخلول، والإتحاد، ووحدانية الوجود بمرور الزمن.

### المبحث الثاني: تأثير الرهبانية في التصوف الإسلامي عبر القرون المختلفة

قبل ان أتحدث عن أنواع الرهبانية وحكمها في ضوء تعاليم الإسلام ينبغي أن اذكر مدى تأثير الرهبانية في التصوف الإسلامي فيما يلي:

#### تأثير الرهبانية في التصوف الإسلامي في القرن الأول الهجري

عندما ننظر إلى تأثير الرهبانية أو الميول الفكرية الرهبانية ف نجد أنه، لا توجد إسما ورسما، أو سلوكا في عهد رسول الله وخلفاء الراشدين المهديين حتى وفاة سيدنا حسن بصرى رحمه الله (ت 111هـ). وكانت التسمية المسلمين والمؤمنين أو الصحابة أو البدرى أو أصحاب البيعة والتابعي. وفي هذا العهد ماكان الغلو العلمي أو العملي أو الاعتقادي إلا في بعض النزعات الفردية كما تحى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشدد على النفس عندما سئل عن عبادته. ففي عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم كان العلم والعمل معا والعبادة، والجهاد، والسعي للمال والنفس، ومنع عن البدع والأهواء كما منع ابن مسعود رضى الله عنه عن الذكر الجماعي في مسجد الكوفة ومنع أصحاب معصّد بن يزيد الذين اتخذوا الجبال للعبادة. وهذه الأمثلة كانت قليلة جدا.<sup>13</sup>

#### تأثير الرهبانية في التصوف الإسلامي في القرن الثاني الهجري

ظهرت الطائفة في أخير القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، التي اختارت الخلوة للعبادة وتركزت التلقي مع الناس. وكان السبب لهذا الفعل الفتن الداخلية وقتل بعض الأشخاص الزكية. فهؤلاء الناس تركوا المجتمع لسلامة دينهم. عندما دخل الناس والأمم الأخرى في الإسلام أتت معهم عقائدهم وأفكارهم البدع. وكذلك ظهرت جماعة إثر إستشهاد الإمام

<sup>13</sup> مانع بن حباد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (الرياض: دارالندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 2014م)، 1:249.

الحسين في الكوفة التي كانت تسمى التّوآبين وبكّائين. إنهم كانوا قد خصصوا أنفسهم للعبادة واعتزلوا عن الأمور الدنيوية. عُرف هؤلاء الناس باسم عبّاد وُرّهاد وقُرّاء وكان من أعلامهم: عامر بن عبد الله الزبير، عطاء السلمي، الأسود بن يزيد بن قيس، صفوان بن سليم، طلق بن حبيب العنزي، داؤد طائي وأصحاب حسن بصري.<sup>14</sup>

كانت طبيعة هذه الأفكار في البداية عبارة عن نزعة الزهد و العبادة لولكن تطورت فيما بعد و تحولت إلى نمط خاص من الحياة وتطوّر مفهوم الزهد أيضا. و ظهرت هناك ما يمكن أن يسمى بمدرسة الزهد و ظهر كثير من الزهاد في القرن الثاني في الكوفة والبصرة منهم: إبراهيم بن أدهم، وبشر حافي، ورابعة عدوية، ومالك بن دينار، وعبد الواحد بن زيد ونحوها. كما نجد أنهم أدخلوا في مفهوم الزهد عقاب النفس، وأكل القليل، وعدم الزواج، وحرمة اللحم على أنفسهم، كما قال مالك بن دينار: لا يمكن الوصول لأحد إلى مرتبة الصديق حتى يترك زوجته أرملة. وكذلك في الكوفة، رفض معضد بن يزيد العجلي النوم وداوم على الصلوة. وأتبع كثيرون طريقهم وذهب بعضهم إلى الجبال على الرغم من رفض ابن مسعود رضى الله عنه. وكذلك عبّرت الرابعة العدوية بين العبد والمعبود تعبير الحب والعشق. أدت هذه الفكرة إلى عدم الرغبة إلى الجنة وعدم الخوف من الجهنم.

### تأثير الرهبانية في التصوف الإسلامي في القرن الثالث والرابع الهجري

ظهرت ثلاث طبقات من الصوفية في القرن الثالث والرابع الهجري:<sup>15</sup>

**الطبقة الأولى:** اشتهرت هذه الطائفة بسبب التقوى، وكثرة العبادة، والانحراف عن الدنيا كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة. ومعظم هؤلاء الناس كانوا يعتصمون بالعقيدة الصحيحة وينصحون بإتباع منهج السلف الصالح على الرغم هناك بعض العبارات الصوفية التي ظهرت واشتهرت على يد هؤلاء المتصوفة والزهاد التي عبارة عن الانحرافات الفكرية و لكنها اعتبرها العلماء من الشطحيات بحيث لا يمكن الاخذ بهذه المقولات و لا الجمع بينها وبين العقيدة الإسلامية السليمة. ورئيس هذه الطائفة كان جنيد بغدادى (ت 298هـ) الذى كان اسمه ابو القاسم الخراز ولُقّب بسيد الطائفة. واعتمد الصوفياء على أقواله في التوحيد والمعرفة والمحبة. تأثر الشيخ من ذوالنون المصرى (ت 245هـ) وتأثر الشبلى من جنيد ولكن خالف نظرية الفناء للبسطامي (ت 231هـ)، وذوالنون (ت 245هـ)، والحلاج (ت 309هـ).

وأشهر الشخصيات في هذه الطبقة كانت: معروف الكرخى (ت 200هـ)، وعبد الرحمن بن أحمد بن عطية الغني (ت 205هـ)، وأبو سليمان الداراني (ت 215هـ)، وأحمد بن على الحوارى (ت 230هـ)، وحسن بن منصور بن إبراهيم أبو على الشطوي الصوفي، وسرى السقطي (ت 253هـ)، وسهل بن عبد الله تستري (ت 273هـ)، ومحمد بن الحسن بن الفضل بن العباس أبو يعلى البصرى (ت 368هـ)، وعبد الرحمن السلمي (ت 412هـ)، ومحمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت 412هـ). ألّف كتب كثيرة في هذه المرحلة الكتب المختلفة كتوت القلوب لأبى طالب مكي (ت 386هـ)،

<sup>14</sup> أيضا، 1:250.

<sup>15</sup> أيضا، 1:252.

وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (ت 486هـ)، والنظر في محتواها تفيد بأن هذه الكتب تحتوي على كثير من الأحاديث الموضوعة والمنكرات والإسرائيليات.

**الطبقة الثانية:** اختلط الزهد بالعبارات الباطنية في هذه الفترة، وبدأ الكلام النظري وأصبحت المصطلحات الكثيرة مثل الوحدة، والفناء، والكشف، والحلول، والأحوال، والمقامات، والسكر، والصحو، والبقاء، والمريد وغيرها وانفصل الشريعة عن الطريقة. وأبرز الشخصيات في هذه الطائفة: أبو يزيد بسطامي (ت 263هـ)، وذوالنون المصري (ت 245هـ)، ومنصور حلاج (ت 309هـ)، وابوسعيد خراز (ت 286هـ)، وحكيم ترمذى (ت 320هـ) وأبو بكر شبلي (ت 334هـ) ونحوها.

**الطبقة الثالثة:** في هذه المرحلة اختلط التصوف بالفلسفة اليونانية وظهرت الفتن كالحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود، ونظرية الفيض والإشراق. وهذه الفترة أخطر فترة في التصوف التي ظهرت فيها كثيرا من البدع وخرج التصوف من الإسلام. وأعلام المتصوفين في هذه الفترة هم: حلاج (ت 309هـ)، والسهوردي (ت 587هـ)، وابن الفارض (ت 632هـ)، وابن العربي (ت 638هـ)، وابن سبعين (ت 667هـ).

### تأثيرالرهانية في القرن الخامس والسادس الهجري

امتدت في نصف الأول من القرن الخامس الهجري الأفكار السابقة التي راجت من كتب أبي عبد الرحمن السلمي (ت 412هـ) كما يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله: توجد في مصنفاته الآثار الصحيحة والآثار السقيمة و توقف بعض الناس في روايته.

أخذ التصوف المكانة الجديدة في نصف الآخر من القرن الخامس وأوائل القرن السادس. فهذا العصر عصر حجة الإسلام أبو حامد غزالي الذي ترك الأثر الكبير على التصوف. كان هو ولد في إيران وتعلم علم الكلام والفلسفة والفقه وغيرها من العلوم العقلية والنقلية. ثم صار مدرّسا في جامعة نظامية وبعده بدأ السير والسياسة بطريقتي الصوفية وكتب كتبها جيدا كالمنقذ من الضلال، وإحياء علوم الدين والجامع للعوام عن علم الكلام، ومنهاج العابدين وغيرها. ورجع في آخر عمره إلى طريقة السلف الصالح وبدأ مطالعة الصحيحين.

انتقل التصوف في نصف الآخر من القرن السادس من إيران إلى المشرق الإسلامي. أصبح شيخ عبد القادر جيلاني (ت 561هـ) في كيلان وأوجد مذهبه الخاص المسمى "القادرية" ونشرت تعاليمه في عالم الإسلام. ويقول له حصل الخرقه من الحسن البصري الذي أخذ من الإمام الحسن وهو من سيدنا على المرتضى رضى الله عنه. ومن أقواله مشهور بأن "قدمي هذا على رقبة كل ولي الله".

ثم ظهرت الطريقة الرفاعية الذي تُسبب إلى الشيخ أحمد بن علي الرفاعي (ت 570هـ) وهو كان قطب الأقطاب عند الصوفية. جاء من بعده علي بن عثمان (ت 584هـ) وبعده عبدالرحيم بن عثمان (ت 604هـ). وكذلك ظهرت في هذا

القرن الشطحيات والأفكار الإشرافية للسهروردي (ت 587هـ) الذى أوجد فلسفة الإشراف بجمع آراء ديانات الفرس والفلسفة اليونانية كما يوجد فى مذهبه الفيض والظهور. ولذا كفروه العلماء وأمر صلاح الدين أيوبى بقتله. وأهم كتابه حكمة الإشراف.

### تأثير الرهبانية فى التصوف فى القرن السابع الهجرى

كذلك نجد إحياء الأفكار الصوفية لدى كل من ابن العربى (ت 638هـ)، وابن الفارض (ت 632هـ)، وابن سبعين (ت 669هـ) التى كانت تشبه إلى حد كبير عقيدة ذوالنون وحلاج وسهروردي فى القرن السابع. دخل التصوف فى هذا القرن فى الأندلس وظهر ابن العربى الذى كان لقّب بالشيخ الأكبر الذى جاء بفلسفة وحدة الوجود واختلف عنه صاحبه ابوالحسن الشاذلى (ت 656هـ). كان الشاذلى يرحّب أفكار الغزالي فى الكشف ويرجّ ابن عربى أفكار الحلاج وذوالنون. وأشهر تلاميذ أبى الحسن الشاذلى كانت ابو العباس المرسى (ت 686هـ)، وإبراهيم الدسوقي (ت 696هـ)، وأحمد البدوي (ت 675هـ). وكذلك ظهر العلامة الكبير مولانا جلال الدين الرومى (ت 672هـ) الذى أوجد طريقة المولوى بتركيا.

### تأثير الرهبانية فى التصوف فى القرن الثامن والتاسع الهجرى

ولد الشيخ مھاو الدين نقشبند فى القرن الثامن (ت 791هـ) وأوجد طريقة نقشبند. وفى هذين القرنين-الثامن والتاسع ألفت الشروح والتفريعات على كتب ابن العربى، وابن الفارض، والصوفياء الأخرى، ولم يظهر النظريات الجديدة فى التصوف. ودافع شيخ عبد الوهاب شعرافى رحمه الله (ت 973هـ) كتب وأفكار ابن عربى.

#### تأثير الرهبانية فى القرون المتأخرة

من خلال هذه الفترة، إختلط الأمر بين الصوفياء وبدأ الدراويش منهم ولقبوا بالألقاب المختلفة كسجادة، وخليفة، وشيخ المشائخ وغيرها. وشاع الطرق الصوفية فى شكل منظم فى جميع البلاد الإسلامية فى هذه العصور.

### المبحث الثالث: إنعكاسات الرهبانية فى الأبعاد المختلفة للحياة الإنسانية

تؤثر الأفكار الرهبانية فى عدة مجالات من الحياة كالأعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق وغيرها. إن الذين يتبعون هذه الفكرة يعتقد أكثرهم- عقائد المشركين، ويتمسكون بعبادات المخصوصة، والوظائف المخصوصة، ويتروكون الدين الكامل. أن أصحاب هذه الفكرة أصحاب التقليد والجود الذين لا يتفكرون ولا يتدبرون. هذه الفكرة صالحة للملوك والحكومات لأنهم لا يخافون عنهم بأنهم لا يقومون لإقامة الدين.

ومن لوازم هذه العقيدة الخلوة، والذهاب إلى الكهوف، والغابات، والصحراء. وبما أن الناس الطيبين والصالحين يتفكرون عن آخرتهم و ينفصلون عن أمور الدنيا لخلاصهم. والنتيجة الأساسية لهذه الفكرة أن أرض الله تملئ بالأشرار والفاسقين و يملؤن هذه الفساق والأشرار الأرض من كل أنواع الفساد. و يصبح الأمر فى أيدي الظالمين والفاسقين بسبب هذه



الفكرة. ويستفيد أقوى الناس من المجتمع بهذا الاعتقاد كالملك، والحكام، والأمراء. وكذلك تشتاق الحكومات لتوزيع هذا الاعتقاد، لأنهم ينفعون من هذه الفكرة. وبهذا السبب لن يكون أتباع هذا العقيدة قادرين على القتال مع أي دين آخر والأفكار الفاسدة.

وفقا لهذا الاعتقاد أن العالم ليس دار العمل، بل هو دار العذاب. و من هذه الوجهة ليس البشر خليفة الله على وجه الأرض. ويرى الإنسان بأنه لم يأت في الدنيا للعمل، ولكنه ألقى في النجاسة والتي يجب أن تدار وتخلص عنها. وبهذا السبب يهرب من المسؤوليات بدلا من قبول المسؤوليات. والشرعية عنده لا معنى لها، لأن فكره يدور حول الوظائف، والأوراد، والعبادات المخصصة المحددة. ويعتقد أن الأذكار والتسبيحات المخصصة تكفي للنجاة والخلاص. وكذلك الذين يعتقدون بهذه الفكرة فهم أصحاب الجمود والتقليد لأنهم لا يعقلون ولا يتفكرون و ليس لديهم القدرة على حل المشاكل الرئيسية للحياة البشرية.

إن العقيدة الرهبانية تؤثر في مجال الديني والديني بحيث ينظر الصوفي و يحلل جميع العقائد والأحكام الدينية من وجهة نظره الخاص به كالتوحيد، والنبوة، والمعاد، والعيش في الدنيا، والأكل، والشرب، واللبس، والنكاح وغيرها. وكذلك يفسر الأمور الدينية بأسلوبه فيعتقد الصوفية لتطهير النفس ضروريا أن يتعلق البشر بهذا العالم المادي على الأقل، لأن هذه العلاقة مع الدنيا والأشياء المادية يغفل الإنسان عن خالقه، وتجعل الروح شقية و يستحق الإنسان العقاب. فإن حالة الخلاص الوحيدة هي أن يترك الإنسان هذا الدنيا و يذهب إلى الكهوف والغابات. هذه الفكرة أيضا تخالف القرآن والسنة؛ لأن سبحانه وتعالى لا يمنع عن حصول الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَفْسُكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>16</sup>.

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>17</sup>. وكذلك تحرم الصوفية الحلال على أنفسهم كاللحم، والنكاح، واللبس بالثوب الجيد. نهي الله سبحانه وتعالى عن هذه الأمور كما قال في سورة الأعراف: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>18</sup>.

وكذلك بعض الصوفية كأهل وحدة الوجود يعتقدون بأن كل شيء حلال لهم؛ لأن لها أصل واحد. وعلى هذا يجوز لهم الزنا، واللواطية ونحوها. وأنهم يرون بأن الله تعالى أسقط عنهم العبادات وأحل جميع الأشياء لهم.<sup>19</sup> نعوذ بالله من ذلك. وأما العبادات، فيرى الصوفية بأن هذا العالم وهذا الوجود المادي للإنسان دار العذاب أصلا. والروح كسجن في الجسد. والغرض الحقيقي من الحياة المادية تنقية الروح من رذائل الأخلاق واتصافه بالأخلاق الفاضلة. عندما تظهر الروح، تتصف بالخصائل الحميدة وتحصل لها القوة. إن الروح ضد النفس كما تهدى النفس إلى السيئات والروح تهدى إلى الحسنات. و يقطع الرغبات والشهوات عن دبره ولا ينتهي رغبات النفس على أي حال، لأنها هو عدو أصلي للإنسان

<sup>16</sup> القرآن 28:77

<sup>17</sup> القرآن 2:102

<sup>18</sup> القرآن 7:32

<sup>19</sup> عبد الرحمن بن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، (الكويت: مكتبة ابن تيمية، 1406هـ - 1986م)، 13.

و تلقيه في الانحراف عن العبادة. ولا بد أن يعد الإنسان نفسه للمجاهدات، والطاعات، والرياضات في كل حين و يجعلها مطيعاً و يركب عليها ويصل إلى معرفة الله تعالى. ويخالف الإنسان النفس إلى حد بأن يتغلب عليها الروح. عندما تتغلب الروح على النفس، فإن النفس ستحصل الخلاص و الروح ستتكئ على أعلى منصب للإخلاص وهي إصالة وهدف الكمال لحياة الانسان.

### المبحث الرابع: تحليل الرهبانية في ضوء تعاليم الإسلام وحكمها الشرعي

عندما نرى إلى ممارسة الرهبانية في ضوء تعاليم الإسلام نجد بأن الذين مالوا إلى الرهبانية على طائفتين:

**فالتائفة الأولى** فيها الناس الذين اختاروا الرهبانية وعزلوا عن الدنيا لسلامة دينهم واجتنابهم عن الفتن ولكن لم يقفوا في الخرافات والمعتقدات الفاسدة؛ لأنهم تمسكوا القرآن والسنة في أيديهم وكانوا على منهج السلف الصالح في الاعتقاد والعمل أى الأصول والفروع وكانت المخالفة القليلة في بعض المظاهر من التعبد والسلوك فقط.<sup>20</sup>

هناك بعض الصوفيا الذين يسلكون على الطريق الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. هذا هو طريق الزهد من الدنيا والإحسان. وأعلام هذه الطائفة حسن بصري، وداؤد طائي، وإبراهيم بن أدهم، وبشر حافي، ومالك بن دينار، وجنيد بغدادى ونحوها. حيث أحهم فضلوا على المؤمنين بسبب كثرة العبادة، والرياضة، والتقوى، والإجتناب عن المعاصى حتى الصغائر أخلصوا دينهم لله، والتمسك بالتقوى والأعمال الصالحة. هذه الطائفة ممدوحة في القرآن والسنة ولهم أعلى درجات عند الله سبحانه وتعالى لأنهم لزموا التقوى والورع كما قال سبحانه وتعالى في صفاتهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.<sup>21</sup> وقال سبحانه وتعالى لأوليائه:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.<sup>22</sup>

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «((إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين))».<sup>23</sup> وقال صلى الله عليه وسلم في شأن الأولياء في يوم القيامة: «إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله تعالى» قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم، قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» وقرأ هذه الآية {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.<sup>24</sup>

<sup>20</sup> ناصر بن عبد الكريم العقل، دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها (رياض: دار كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع، 2011م)، 1:185.

<sup>21</sup> القرآن 63-62

<sup>22</sup> القرآن 2:257

<sup>23</sup> أحمد بن حنبل، المسند، محقق - شعيب الأرنؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 1999م)، حديث: 17804، 29:340.

<sup>24</sup> سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب السنة، باب في القدر، المحقق - محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية)، حديث: 3527، 3:288.

كما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكد أن يكون الإنسان الوسطية في سائر عباداتهم، كما ورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه نَهَى عَنِ الْوَصَالِ، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: ((إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى))<sup>25</sup>.

**والطائفة الثانية** التي دخلت فيهم الرهبانية من الأديان الأخرى كالنصارى والهندوس ولسكو على طريقتهم. وحتى القرن الثالث، ظهرت فيهم البدعات والخرافات الكثيرة في التبعيد كالسماح، والنظر الحرام، والطريقة، وطقوس المربين، والشطحات، والعبارات والكلمات التي كانت تخلّ عقيدة التوحيد والقدر.<sup>26</sup> وفي نهاية القرن الثالث تطورت البدعة الكثيرة وصارت مأوى لكل فرقة ضالة ولكل مذهب مضلة ودخلت فيهم عقائد مذاهب وأديان شتى: كاليهود، والنصارى، والفرس، والهندوس، والمجوس، والملاحدة، والصابئة، والدرهية، والفلاسفة، والقدرية، والباطنية، والجبرية، والمرجئة، والشيعية ونحوها. وفي النهاية صارت مذهب أهل البدع والأهواء حتى تغلغل في هذه الطائفة الإلحاد والزندقة كما نرى في شكل الإتحاد ووحدة الوجود والحلول وغيرها.<sup>27</sup> وبعد هذه العصور لا توجد النظريات الجديدة في التصوف سوى الشروح وأفكار الدفاع عن الأكابر. وطلّعت هذه الطائفة ابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض، والحلاج، والسهروردي المقتول وغيرها.

يبدو لنا من المنشور السابق بأن التصوف الإسلامي على ثلاثة أنواع: الشرعي والبدعي والكفري. فالتصوف الشرعي وهو إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح. وكذلك كل ما ابتدعه العلماء، والصوفياء، والأولياء، والعرفاء ولم تصرحها الشريعة، لا تدخل في البدع حتى خالفت السنة. فإن لم يخالف السنة فهو محمود كقلة الطعام، والمنام، وحلق الرأس، وكثرة الصلوة، والصوم، والعبادات الأخرى، ولبس المرقعات، ومواظبة الذكر، والجهربه. وهذه نواميس الحكمة التي لم يتعارف النبي صلى الله عليه وسلم في عامة الناس لأنها للخصوص وللسالكين على طريق الحق التي لا ترعاها الناس فإذا لا يجب عليهم. ويدخل في التصوف البدعي الانفصال عن المجتمع، وتعذيب النفس بالشدائد، وتخلي النفس لكثرة العبادة والرياضة في الغابات والصحراء، وترك الحلال، وترك النكاح وغيرها. والتصوف الكفري فيدخل فيه البدع الكثيرة كالحلول، والإتحاد، ووحدة الوجود وغيرها.

## النتائج

إن الرهبانية ابتدعتها النصارى من عند أنفسهم لإبتغاء رضوان الله تعالى ولم يفرض أو يسن الله عليهم - ولكن مارعوها بسبب التثليث، والإتحاد، والكفر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. واشتهرت الرهبانية في الدين الإسلامي باسم التصوف. ومن المنظور الإسلامي أن أصحاب الرهبانية على نوعين: فالأول على منهج الصحابة وأهل السنة في الاعتقاد والعمل والأصول والفروع فهذه الطائفة الناجية وأما الثاني فعقائدهم تشتمل على الخرافات والأوهام والكفر والإلحاد والزندقة.

<sup>25</sup> مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، المحقق - محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، حديث: 2:774، 1102.

<sup>26</sup> العقل، دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، 1:185.

<sup>27</sup> أيضاً، 1:185.

وأمثلة هذا نظام العقيدة معروف بأشكال وسماة مختلفة كوحدة الوجود، والاتحاد، والفناء، والحلول،<sup>28</sup> واليوجا، والأفلاطونية الجديدة. والتصوف المسيحي، والتصوف الاسلامي والبوذية وغيرها. عندما نرى إلى ضلالتهم واختلافهم عن عقيدة أهل السنة والجماعة، نجد عدة وجوه كإختلاف في مصادر التلقي أى المصادر المعرفية. تثبت العقيدة الإسلامية بالقرآن والسنة ولكن المتصوفين يأخذون العقيدة بالوحى، والإلهام، والكشف، والرؤية، ويعروج الروح إلى السموات، وبالفناء فى الله، ويتصل بالجن والأولياء، ويربط القلب بالرسول. ونرى بأن معظم وسائلها لأخذ العقيدة تتعلق بالغيب. وإذا كانت المصادر للعقيدة شتى فالعقيدة مختلفة بل متناقضة بين الصوفية أيضا. وبعضهم يعتقدون بشيء والآخرين ينكرونها ولا يسلمونها. وسبب الإختلاف هو بأن كل منهم يزعم بأنه ألهمه هذه العقيدة الرسول أو الملك أو الروح أو أخذ من اللوح المحفوظ وغيرها. وكذلك يفسرون الصوفية القرآن تفسيراً باطنياً ويسمونهم التفسير الإشاري. وأنهم يعتقدون بأن حروف القرآن لها معان خاص التي لا يطلع عليها إلا الصوفي الكامل وتكشف هذه المعاني على قلبه. فبهذه الوجوه تختلف العقيدة الصوفية عن العقيدة الإسلامية ودينهم عن الدين الإسلامي في المسائل الأصولية والفرعية. ولذا توجد عندهم التصورات المختلفة عن العقيدة الإسلامية في التوحيد، والنبوة، والآخرة، والجنة، والنار، وإبليس وفرعون وغيرها من المفاهيم العقديّة.<sup>29</sup>

---

<sup>28</sup> الجهنى، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 270.

<sup>29</sup> عبد الرحمن بن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، 13.